دفاعٌ عن المسيح ...

بقلم غالي شكري

قصتان قرأتهما حديثا ... الاولى للكاتبة الاميركية فيفيان روث ، والثانية للكاتب الانجليزي آلان رالي. والقصتان تلتقيان في معنى واحد هو : السلام . كيف نعيده الى الارض ؟ او كيف نعيد الارض اليه ؟

تروى لنا القصة الاولى خيالا جميلا ، اذا ما جاء السيد المسيح الى الارض مرة اخرى .. ترى .. ماذا يفعل الغرب برسول السلام ؟

ستدق الاجراس ، وتمتلىء الكنائس ، وتصبح امريكا واوروبا قطعتين من نور .. ويعقد مجلس العموم جلسة طارئة ، لاجراء اللازم نحو اقامة حفلة كبرى لاستقبال المسيح عند زيارته لانجلترا ... بينما يتوجه اعضاء الكونجرس في عربة ذرية الى البيت الابيض .. ويصيح نواب الولايات المتحدة هاتفين بالرئيس الامريكى ان ستيقظ ، فقد اشرقت شمس السلام .

وتعقد الكاتبة فصلا طريفا ، عما يدور في اسرائيل عندما تبرق لها وكالات الانباء بالحدث العظيم ، فتقول : « ... وتستورد الحكومة الاسرائيلية حينذاك ، هيئة دولية من الندابات ، لاستدرار دموع الندم من المآقي الخجلى ، التي ظلت تذرف هباء على حائط المبكى » .

ويتحول كل بيت في العالم الى مأدبة استقبال ، وتصدح الموسيقى ، ويرقص الاطفال ، ويختفي بابا نويل خلف شجرة عيد الميلاد ، وعلى شفتيه ابتسامة مشرقة ، فهو لن يتكلف بعد اليوم مشقة شراء الهدايا للملائكة الصغار .

ثم يحضر المسيح ...

ويركض الجميع الى رؤياه .. ويبتسم للعالم اجمع ، وهو يقول : «طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يدعون . »

ويصفق اعضاء الكونجرس ، ومجلس العموم بحماس .. ونسمع صوت احد القادة الفرنسيين الذين اشتركوا في التنكيل بأبناء الجزائر ... يقول :

ـ اجل .. اننا ابناء الله

ويستطرد المسيح :

« اريد رحمة .. لا ذبيحة ».

ويهمس احد اللوردات في اذن احد الوزراء :

ـ انه لا يريد الذبائح .. واذن فاليزانية تكفي.. الم اقل لك ان المسيح رجل طيب ، ويصوم كثيرا .. انه يريد الرحمة بنا ... الا تسمع ... ضع على المائدة الاطعمة الجافة فقط!

ويقول المسيح :

« احبوا بعضكم بعضا »

فينظر شاب الى فتاة جميلة ، تقف بعيدا عنه في تأفف ، قائلا :

ـ اتسمعين ياماري ... المسيح يأمرك !

ويصرخ المسيح :

« لقد جئت الى السجون » .

وتسري همهمة بين الناس « ماذا يعني .. ترى .. ماذا يقصد ؟ »

ويكمل المسيح :

« ... لادعو المسجونين الى الحرية .. والمأسورين الى الخلاص .. الى الانطلاق . »

ويرهف الجميع اسماعهم .. وتبدو علامات الاهتمام على وجوه النواب والوزراء .. بينما يقول المسيح :

« لن يمحى الشر من هذا العالم . »

ويسكت برهة ، فيعلق احدهم « لقد بدأ يخرف » ..

ويستطرد المسيح :

« .. لن يمحى الشر الا اذا انتهى استعباد الانسان لاخيه الانسان.»

ويقاطعه احد الجالسين :

ـ سيدي ... هل يوجد في السماء خمر ؟

ويسأله المسيح : لماذا ؟ فيجيب :

ـ لانك تبدو للاسف في غيبوبة !

ويقول اخر :

ـ انك تبدو ياسيدي مضحكا للغاية .

ويعلق ثالث :

ـ انه لم يتعلم الاتيكيت !

ويضطرب الحفل .. وينفض عنه المدعوون .. بينما يجتمع الكونجرس الامريكي باعضاء مجلس العموم البريطاني في جلسة طارئة .. ويخرجون الى المسيح قائلين :

ـ يؤسفنا جدا يا سيدي ، ان نقرر ـ بناء على رغبة شعوبنا ـ اتهامك بالتخريب ، ومحاولة قلب نظام الحكم .. وعقوبة هذه الخيانة هي الصلب !!

ويحمل المسيح صليبه .. في هذا العالم .. للمرة الثانية .

*

والبراعة التكنيكية التي رافقت قلم الكاتبة من الصفحة الاولى حتى النهاية ، هي الطابع الواضح الذي تميزت به القصة . فنحن ازاء خيال جميل ، يرمي الى غاية اجمل ، ممكنة التحقيق .

ولكن السرعة الفلاشية للتكنيك الامريكي في القصة الحديثة ، احاطت الخط الرئيسي المنتظم احداث الرواية بهالة من التضخم الانفعالي ، كان في استطاعته ان يخدع القارىء بتوهمه صدق الاحساس لدى الكاتبة.. الامر الذي لا تؤكده النظرة المتأنية للخريطة الفكرية التي رسمتها فيفيان روث ، لعودة المسيح .

فاذا كان السلام عملة ذات وجهين ـ او بمعنى ادق ذات عدة وجوه ـ فان السلام المسيحي هو الفائز باختيار الكاتبة الامريكية ، نموذجا ومثالا للسلام الواجب ان يكون بين البشر .وهي بذلك تتجاهل الظروف التاريخية والاجتماعية التي نبتت بين احضانها الدعوة المسيحية للسلام .

ثم هي اختارت « الغرب » ميدانا للصراع ، ظنا منها ان ذلك يخلق تعاطفا بينها وبين القارىء ـ الشرقي والغربي على السواء ـ وقد نسيت ان هذا التحديد المكاني ليس له ما يبرره على الاطلاق . اذ كلما كان الهدف انسانيا مطلقا كان الانسان ـ في اي مكان ـ هو الخامة الاصيلة للفنان .

ولكن .. هذا يدعنا نتساءل مرة اخرى : لماذا اختارت مسز روث ، الغرب فقط ، طرفا للصراع ؟

انه لا ريب ، الاحساس المنطقي بألازمة .. ازمة الرأسمالية المعاصرة في أعلى مراحلها .. وهنا نواجه الكاتبة في السلبية الواضحة التي املت عليها هذا الخيال الجميل : عودة المسيح الى الارض .

فليس شك ان المسيح موجود على الارض فعلا .. في ملايين الكنائس.. وملايين الكتب المقدسة ... فماذا فعلت المسيحية ؟ ان « الحب المسيحي » لا ينتظر عودة المسيح ليؤكده .. فالانجيل هو البؤرة الفكرية لدعوة المسيح الى الحب والسلام .. فماذا فعل الانجيل ؟

كل علامات الاستفهام هذه لم تجب عليها الكاتبة ... وانما افتعلت مسيحا اخر ، يمكن اتهامه بالتخريب ومحاولة قلب نظام الحكم (!!)

وهذا الافتعال المقصود ، ليس وليد الصدفة في الرواية . حيث انه من السهولة بمكان ، ان نلحظ في فيفيان روث هدفا هاما من وراء الخلط وهو يلتصق بذهن القارىء ، والحيرة تربكه عند اتهام مجلس العموم والكونجرس ، للسيد المسيح ، بالشيوعية (!!)

ومن السذاجة ان نفهم رسالة السلام المسيحي على هذا النحو ، وان كان هذا السلام مازال مستغلا في العالم الغربي على نحوه الصحيح . اي كونه تعبيرا حيا صحيحا عن مرحلة تاريخية معينة . ويبدو التناقض واضحا ، عندما تضع الكاتبة كلا من المسيح و « العالم الحر » على طرفي نقيض ... اذ ليس هناك مجال حقيقي للصراع ، لو خلعنا المنظار العاطفي.

واذن فالخطوط الانسانية المتشابكة ، المخيمة على القصة ، هي خطوط واهمة صنعت بمهارة ، بقصد التعمية او ذر الغبار .

ومسز روث ـ رغم سخريتها اللاذعة الجميلة ـ الا انها تصم البشر بأبشع ما يمكن تصوره من صفات التحقير . فحين يدعو المسيح الى الحب ، يلتفت الشاب الى الفتاة المجاورة له ويدعوها للغرام . وعندما يحذر من الشعر يصفه احدهم بالتخريف . اما اذا نادى بالحرية فانه مخمور !! وهي بذلك تريد ان تقول كلاما خطيرا ... تريد ان تصف البشر بانهم اعداء الخير الحقيقي والحب الحقيقي والحرية الحقيقية !! تؤكد ايضا ان الناس في لهو دائم بمشكلاتهم الصغيرة عن كبريات امور العالم . لا تنسى كذلك ان تنبهنا كيف ان هذه الجماهير العريضة تهتم بالخبر المثير فقط .. بالنبأ الغريب فحسب .. تتلهف على رؤية المسيح وتحتشد حوله .. حتى اذا تحدث عن السلام والخير والحب .. سخرت منه ، وانفضت بعيدا عنه .

واني في دهشة ، كيف تجاهلت الكاتبة ، الفرق بين الديانة اليهودية والدعوة الصهيونية (؟) فهي تسخر من اسرائيل ، لكونها ستفاجأ بالمسيح وجها لوجه ، وتندم لانها عاشت طوال هذه السنين ، لا تصدق انه جاء من قبل . وتظن انها بذلك قد سخرت من الدعوة الفكرية لاقامة اسرائيل والحق ان هناك فرقا شاسعا من اليهودية كدين ـ لا يتأثر بعودة المسيح الا في المحيط العقائدي ـ وبين الصهيونية كمبدأ لا يستند على اساس علمي .

واذا صلب المسيح في هذا العالم للمرة الثانية .. فذلك ينطوي ـ من حيث لا تدري روث ـ على اتهام خطير للمسيح نفسه . انه يعني ـ ببساطة ـ ان تعاليمه لم تستطع ، في الماضي او في الحاضر ، ان تسهم في تغيير العالم . هذا اذا كانت روث قد اغفلت ان المسيح يصلب ملايين المرات في كل لحظة .. تحت ظلال النظم غير الانسانية .

ورغم ذلك كله ، فان السخرية الرائعة التي ملأت نفوسنا مرارة من القائد الفرنسي الذي يقتل الجزائريين ويعتقد انه ابن الله .. ومن الوزير الذي مبع تعبير المسيح عن المجازر البشرية بالذبائح ، فأمر بالاطعمة الجافة فقط .. هذه السخرية الرائعة هي الفضيلة الوحيدة التي احببتها عند روث .

★

والقصة الثانية لا تلتقي مع القصة الاولى في الطريق الى السلام . وانما اختار الكاتب لنفسه طريقا اخر... لا ريب انه كان اكثر نظافة وفهما ووعيا .

فالكاتب يصور لنا حفلة عيد الميلاد، التي اقامتها احدى الاسر الانكليزية في جنوب افريقيا .. وكان برنامج الحفل يحتوي على تمثيلية ميلاد المسيح . وعبثا حاولت الاسرة ان تجد من يمثل « ملاكا » يبشر العذراء مريم بميلاد المسيح. كان عدد ابناء الاسرة وبناتها اقل من العدد اللازم للتمثيلية بفرد واحد . ولم تشأ الاسرة الانجليزية ان تضم الى التمثيلية واحدا من السود ابناء المنطقة . وانتهى الامر بأن يقذف احد الجالسين ، مصباحا قويا على خشبة المسرح في لحظة ظهور الملاك .. بينما يتلو احدهم من وراء الستار .. الكلمات اللازمة للدور .

وفعلا .. تم الترتيب على هذا الاساس.. حتى اذا حان موعد الحفل.. ورفع الستار .. واقبل دور الملاك .. ظهر على المسرح ضوء شديد .. شديد جدا .. واذا بملاك حقيقي يقف على المسرح !!

صدر حديثا

نزار قباني

شاعرا وانسانا

دراسة وافية بقلم

محيي الدين صبحي

الثمن ليرتان لبنانيتان

دار الآداب ـ بيروت

فماذا رأى ؟

رأى القاعة مليئة بعشرات القصص .. صاحب الحفل مخمور يضاجع زوجة صديقه في ركن منزو ـ بينما زوجته على فراش المرض لـ واحد الابناء ، ممن يؤدون احد الادوار ، جلس بين الكواليس مع فتاة سوداء يتسلى على تمزيق جلدها بمطواه ، فيثير صراخها شهوتـه ! وجلست احد البنات تفكر في الطريقة المثلى لقتل صبي اسود ، قال لها في رسالة مجهولة « هذه الارض التي تأكلون خيراتها ... هي ارضنا»

واذ يرى الملاك مشدوها هذه المناظر .. يحطم المسرح بكلا جناحيه .. ويصعد سريعا نحو السماء..

★

والواقع ان هذه القصة ، أغنى من القصة السابقة في مدلولها الانساني فقد استطاع الكاتب ان يفضح الاغلفة الانيقة اللامعة التي تستر الاخلاق الحقيقية للمستعمر الانكليزي .

ونظـرة الكاتـب الـى الاخـلاق ليست نظـرة فلسفيـة بالمعنـى العلمـي الدقيـق . ولكنهـا نظرة واضحـة سليمـة .. لا افتعال فيها ولا تناقض ... تبسط القضية على وجهها الصحيح ... فهو يعرض للعلاقة اللونية بين المستعمرين البيض والزنوج السود. ويكشف لنا في روعة ، كيف تنحدر المثل العليا ـ التي يتشدق بهـا الابيض ـ الى هوة سحيقة .. فالرجل لا يتورع ، من ان يضاجع زوجـة صديقة في مكان الحفل ، بينما تبعد زوجته المريضة عن نفس المكـان بضعة امتار .

وتلتصق القيم الساحقة الرفيعة ، بالوحل .. عندما نرى احد ابنـاء الاسرة ، يمسك بالفتاة السوداء ، يمارس معها انحرافاته الجنسيـة الشاذة ، غير عابيء بأية قواعد انسانية بدائية ، فيتسلى بتمزيق جلدها، لتتمزق معه شهوته .. وانسانيته ايضا .

ويبلغ مستر رالي ، الذروة .. حين يقدم لنا هذه المشكلة البسيطة جدا .. ان افراد الاسرة لا يكفون للتمثيلية .. حيث ينقصهم فرد واحد يمثل دور الملاك ...

وهذه لقطة بارعة من زاويتين .. الاولى ايحائية مباشرة ، اذ يحـث ـ مصادفة طبعا ـ ان توزع جميع الادوار ... ولا يبقى سوى دور الملاك ، وكان احدا لا يصلح له .

والزاوية الثانية ، تظهر من تفكير ـ غير مسموع ـ يبدو انه دار حول طفل اسود يمكنه تأدية الدور .. وهنا تبرز عقبتان : فالدراما الدينيـة اخذت من اللون الابيض لونا للملائكة .. وبالتالي لا يصح ان يكون احدهم في التمثيلية اسود . وهذه سخرية جميلة ، وان كانت مغطاة بالاف الستائر الكثيفة . والعقبة الثانية ان الاسرة ترفض ـ اصلا ـ ان يشترك احد السود في حفلتها !! وهذا هو الهدف الاصيل للكاتب .

وقد اجاد المؤلف الانجليزي ، تصوير الاخلاق الانجليزية .. فاذا بنـا امام ميكرسكوب انساني نظيف ، يرى به مستر رالي اخلاق قومه فـي سخرية مرة .

ونحن لا نستطيع ان نقدم الكاتب لمحاكمة ايديولوجية حين يهدينـا هذه الشريحة الانسانية في ثوبها النقدي الجميل . حقا ان هذا الثوب اخفى الوضع العلمي للمشكلة،وانبت بدوره هذه الرؤى المثيرة للسخرية.. ولكنه ابرز مفاتن الاخلاق الانجليزية الحقيقية .. فاذا بها شوهاء خالية من كل مبدأ انساني.

ناقش الكاتب ، الاخلاق ، كواعظ قدير لا تحس معه ، بانه يقف علـى منبر الكنيسة . غير انه ناقشها معزولة عن ظروفها المحيطة ، فبـدت لنا هكذا وليدة الفطرة الانجليزية او الطبيعة البشرية لهذه الاسرة . ولم تكن هذه الاخلاق ـ في حقيقة الامر ـ الا ظلالا حتمية لاوضاع معينة ، تخرج عن ارادة هذه الاسرة الصغيرة ، ودائرتها الخلقية .. والمجـرم الحقيقي اذن هو نظـام اتاح لها الفرصة ان تغتصب هذه البقعـة مـن الارض .

★

اكاد اجزم انها ليست صدفة ، ان اقرأ هاتين القصتين في هذا القالب الفني المتشابه . لان القلق السائد على كتاب هاتين القارتين ـ اوروبـا وامريكا ـ تعبير حقيقي صادق عن أزمة السلام في عالم اليوم . لان الظروف المحيطة بهما واحدة .. والمشكلات الصانعة لحاضرهما واحدة.. والسحب القاتمة المظلة لمستقبلهما واحدة . وربما كانت هذه السحـب الداكنة بالذات ، هي السبب المباشر في قصر النظر ، المميز للكاتب الامريكي او الاوروبي في الوقت الحاضر ، حين يعالج هذه الازمة الخطيرة: السلام .

ولم يكن السلام يوما ، أزمة ، فضلا عن توهمهم انه ازمة خطيرة . وانما هو الخيال المريض نفسه ، خلق فيهم هذا الشك والوهم .

وهناك ظاهرة جلية في اغلب ما قرأته من دعوات سلامية في قصص هؤلاء الكتاب . وهو انهم يمثلون عنصر الخير ، بمخلوقات غريبة عـن النوع الانساني . فقد جسده الكاتب الانجليزي المسرحي « ريتشارد جان توما » في رسول من المريخ جاء يهدي الارض الى طريـق الصـواب ، واتخذت روايته « لم يعد حلما » هذا الطابع الخيالي المشوق ، قالبا لفكرته . وها نحن نرى الكاتبة الامريكية فيفيان روث ، تتخيل عـودة المسيح مرة اخرى . ولا نشك انها رأت في المسيح ، رمزا عاليا للخير والسلام . وكذلك الان رالي ، اتخذ من الملاك نموذجا حيا للخير .

ولست اجد وراء هذه الظاهرة الا سببا واحدا . هو النظرة المتشائمة لهؤلاء الكتاب ، الدافعة بهم الى حد الهوس ، حين يظنون ان الجنس البشري خلا من عناصر الخير والحب والسلام . ولو انهم يعبرون فـي صدق وقوة ، عن نظام انساني يظللهم ، بهذه الغمامة الثقيلة من الشك والحيرة والتوجس والقلق . وان كان ذلك لا يعفيهم من مسئوليتهم الانسانية . فالكشف الجاد المثمر عن الاسباب الحقيقية الكامنة فـي احساسهم الاسود هذا ، والرغبة الحادة في معرفة ايسر السبل لتهيئة منظار انظف .. هي العدسة المنيرة ، لجوانب الخير العظيمة المحتواة بين اضلع البشر . مهما طحنت انسانيتهم آلات النظام الوحش . ونعرف جيدا ان هذا النظام ، غمامة سوداء ، تعميهم ـ اي هؤلاء الكتاب ـ عن ايسر الطرق الكاشفة في عمق للعوامل الخفية التي لونت الجوانب الاخرى الشائهة بالسواد .

وقد منعتهم الكراهية المتعمدة للجماهير ـ البادية في وضوح مـن خلال القصة الاولى لمسز روث ـ من ان يتلمسوا طريقا آخر للسلام ، يحمي شعوبهم من هذا التوتر ، وينظف ما علق بهم من ادران ، ويجتث ما لديهم من جذور خلقية مريضة .

ولعل انتشار النظرة الجديدة المشرقة للواقع الانساني ، هي المصدر اليتيم ، لهذه النظرة الانهزامية الملتثة . فقد اصبحت الطبيعة والمجتمع في المفهوم العلمي الحديث ... حركة دائبة مستمرة .. ومن غير المعقول ان يتخلف الانسان عن هذا القانون العلمي ، المستهدف به ، تغيير عالمنا والتقدم به الى امام .

الحقيقي للسلام ... وانما هو احد المظاهر الخارجية ، للجوهر الكامن والانحطاط الخلقي البارز في قصة رالي ـ ليس هو بالتأكيد العائق في اعماق المشكلة . فنحن لا ندري شيئا عن ظروف الرجل وهو يخون زوجته في حفلة عيد الميلاد .. ولا نعرف معالم الدائرة التي يعيش داخلها الابن المنحرف . ولكنا نعلم شيئا واحدا ، هو ان طبيعة هذه العلاقات الاجتماعية المعقدة ، ترتد جذريا الى طبيعة النظام الاقتصادي المنهار الذي اقلهم بالطائرة من لندن الى جوهانسبرج .

هذا الشيء الواحد ، لم يهمس لنا به الكاتب . صحيح انه اشار من بعيد الى رد الفعل الطبيعي حين دفع صبيا اسود يقول للفتاة البيضاء في رسالة مجهولة « هذه الارض التي تأكلون عليها .. هي ارضنا » ولكنها اشارة اقرب الى التلميح منها الى التصريح الانساني المنتظر من الفنان اذا وعى هذا الوضع المنطقي تماما مع اساليب الرأسمالية والاستعمار . كنا ننتظر من رالي ان يقول هذه الكلمات .. لا من فوق منبر وانما في الشكل البنائي الرائع الذي اختاره لقصته . فلا يكفينا ابدا، ان تنطق رسالة مجهولة بهذه الكلمات حتى نفهم مكان الكاتب . ولكنا نراه جيدا ونسمعه حين يشرح مبضعه هذا المدلول الكبير ، في الاطار الفني المتماسك حيث تعانقت خيوط الحدث كله في مهارة جميلة .

كذلك اذا بدانا بحثا جادا وراء « السلام » في قصة روث .. فاننا لا نجد ، كما سبق ان ذكرت ، الا خلطا منفرا من مفاهيم باهتة غير محددة .. ليس من بينها السلام على اية حال . حتى اذا كان الرمز الواضح هو المسيح ، فان المدلول الشبكي يفرض نفسه على الرواية في غير وضوح ... ولا يومىء بالغاية المباشرة التي قصد اليها .

واذا اتفقنا على ان هناك تفاعلا صحيا بين الاطار البنائي للعمل الفني، والمحتوى الانساني .. استطعنا ان نفهم السرعة الفلاشية في التكنيك ، البارزة كعنصر اساسي في الهيكل الروائي.

والمتامل للقصتين السابقتين ، لن يعاني كثيرا في تجنب الاضواء المركزة على مكان معين بالذات ، فنرى المسيح في القصة الاولى يعقد صداقة دائمة مع الكاتبة .. والملاك في القصة الثانية عدسة امينة تعقد معاهدة مع كل المرئيات . وتبدو القصتان بعد ذلك ، كاحلام جميلة .. استغلت للتنفيس عن رغبات كامنة .

والاحلام قد تبعد بالقصة عن الواقع ، ولا تبعد بها عن الواقعية . قد لا يستمر الكاتب امينا للواقع ، ويظل ـ رغم ذلك ـ امينا للواقعية . وتتضح هذه الواقعية الحالمة بجلاء في الادب الانجليزي المعاصر . وتبلغ ذروتها في مسرحية جان توني « لم يعد حلما » ، يروى لنا قصة قادم من المريخ ، يزور احد القراء المعنيين بدراسة الكواكب . ويقول الضيف المريخي لمستر هوراس ـ احد سكان لندن ـ ان الانانية اصبحت كالهواء على الارض . كلكم تحبون ذواتكم .. كلكم تعبدون انفسكم .. وقد جئت الى هنا لاعطيكم درسا . اذ من بين امم العالم لم اجد سوى انجلترا نموذجا لحب الذات . ومن بين سكان لندن جميعهم ، لم اجد سواك تقدس حبك لنفسك ، ولا تعترف بان كلمة « الايثار » توجد في القاموس الانساني .

ويرحب مستر هوراس بضيفه مازحا :

ـ وماذا عندكم في المريخ ؟ ان زيارتك جاءت في الوقت المناسب .. انني مهتم بكم هذه الايام .

ورسول المريخ لا يجيبه ، وانما ياخذه الى الشارع ، وينزل به الكوارث فيفقد ثروته ومنزله وكل ماله . ثم يفيق على حقيقة جديدة : انه لن يعيش الا اذا تعاون مع الاخرين .

ويبدأ اهتمامه بالغير يتخذ شكلا ايجابيا ... ويسري « الايثار » في دمه .... ويعيد اليه الرسول المريخي كل ما فقد . ويستيقظ مستر هوراس ... اذ كانت كل هذه الاحداث .. حلما . حتى ان ديكور الفصل الاخير هو نفسه ، ديكور الفصل الاول : هوراس مستلق في اغفاءة على مقعده بعد مطالعة طويلة لمجلة فلكية .

هنا تجسدت الواقعية الحالمة ، عندما احس الكاتب بان الحياة في واقع المجتمع الانجليزي لن تسعف فلسفته بالوضوح والتبلور .

★

ومما يدعم هذا الرأي ، عشرات القصص والمسرحيات التي دارت حول المسيح والحب والسلام ، واستلهم كتابها مادتهم من امراض الانسان . فقصة تشيكوف الرائعة « مولد طفل » مازال قمة شامخة . وقصة بيرل باك « صليب الساحل » تعتبر في طليعة الادب الهادف الى السلام . بل وفي الادب العربي المعاصر ، نعثر على احدى روائعه ـ « قرية ظالمة » للدكتور كامل حسين ـ تتخير نفس الطريق المضيء لخير الانسان .

ونعود بالسؤال من جديد : لم يلجأ هؤلاء الكتاب الى الخيال ؟ ونعود الى الجواب في مدرسة الواقعية الانجليزية التي اثرت في بعض الادباء الامريكيين .. فنتاكد من ان الهروب وحده .. الهروب اللبق من مشكلات الانسان الحقيقية .. هو الجاني الوحيد في القضية .

ولا ريب ان الواقعية الانجليزية المعاصرة .. هذه الواقعية الحالمة .. هي التعبير الصادق عن ازمة المجتمع الراسمالي الراهن في جزء من العالم .

ولحسن الحظ ان كثيرا من طلبة الفن في العالم ، يرفضون الالتحاق بمدرسة الاحلام .

★

الا ان الجدير بالملاحظة فعلا ، هو تخلص كتاب الغرب من النزعة المتعصبة في الكتابة الفنية عن المسيح . فلم تصبح المجادلات الدينية او المذهبية هي الخامة المالئة في كيان الدراما المسيحية . وانما نلحظ ميلا عاما من جانب هؤلاء الكتاب الى النزعة الانسانية ، وان احتفظت من المسيحية بلونها الرومانسي الجميل .

ونحن نرحب دائما بكل المحاولات التي تحتك بالواقع البشري ، وتقرب مشكلاته ، وتبعد رويدا رويدا عن التحليق في فضاء الخرافة .

ولذلك فان المسيح والحب والسلام ... ستظل جميعها اضواء تجذب اشعتها من قرص الشمس في وضح النهار ، وليست اضواء صناعية في ليل مدينة تهوى البريق والاحلام .

القاهرة — غالي شكري

الشعر العربي في المهجر الامريكي

دراسة فنية

بقلم

وديع ديب

السعر ٣٠٠ غرش لبناني